

صيد الخاطر

96 - - فصل : التلطف بالنفس .

تأملت العلم و الميل إليه و التشاغل به فإذا هو يقوى القلب قوة تميل به إلى نوع قساوة و لولا قوة القلب و طول الأمل لم يقع التشاغل به .

فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه و أبتدء بالتصنيف أرجو أن أتمه فإذا تأملت باب المعاملات قل الأمل و رق القلب و جاءت الدموع و طابت المناجاة و غشيت السكينة و صرت كأني في مقام المراقبة .

إلا أن العلم أفضل و أقوى حجة و أعلى رتبة و إن حدث منه ما شكوت منه .
و المعاملة و إن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها فإنها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان الذي قد إقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره و إنفرد بعزلته عن إجتذاب الخلق إلى ربهم .

فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعا لا يقدر في كمال التشاغل بالعلم .

فإني لأكره لنفسي من جهة ضعف قلبي و رفته أن أكثر زيادة القبور و إن أحضر المحتضرين لأن ذلك يؤثر في فكري و يخرجني من حيز المتشاغلين بالعلم إلى مقام الفكر في الموت و لأنتفع بنفسي مدة و فصل الخطاب في هذا أنه ينبغي أن يقام المرض بضده .

فمن كان قلبه قاسيا شديدا القسوة و ليس عنده من المراقبة ما يكفه عن الخطأ قاوم ذلك بذكر الموت و محاضرة المحتضرين .

فأما من قلبه شديد الرقة فيكفيه ما به بل ينبغي له ان يتشاغل بما ينسيه ذلك لينتفع بعيشه و ليفهم ما يفتي به و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يمزح ويسابق عائشة Bها و يتلطف بنفسه فمن سار سيرته عليه الصلاة السلام فهم من مضمونها ما قلت من ضرورة التلطف بالنفس